



دوافع الحملات الصليبية





دوافع الحملات الصليبية على المشرق

الحروب الصليبية

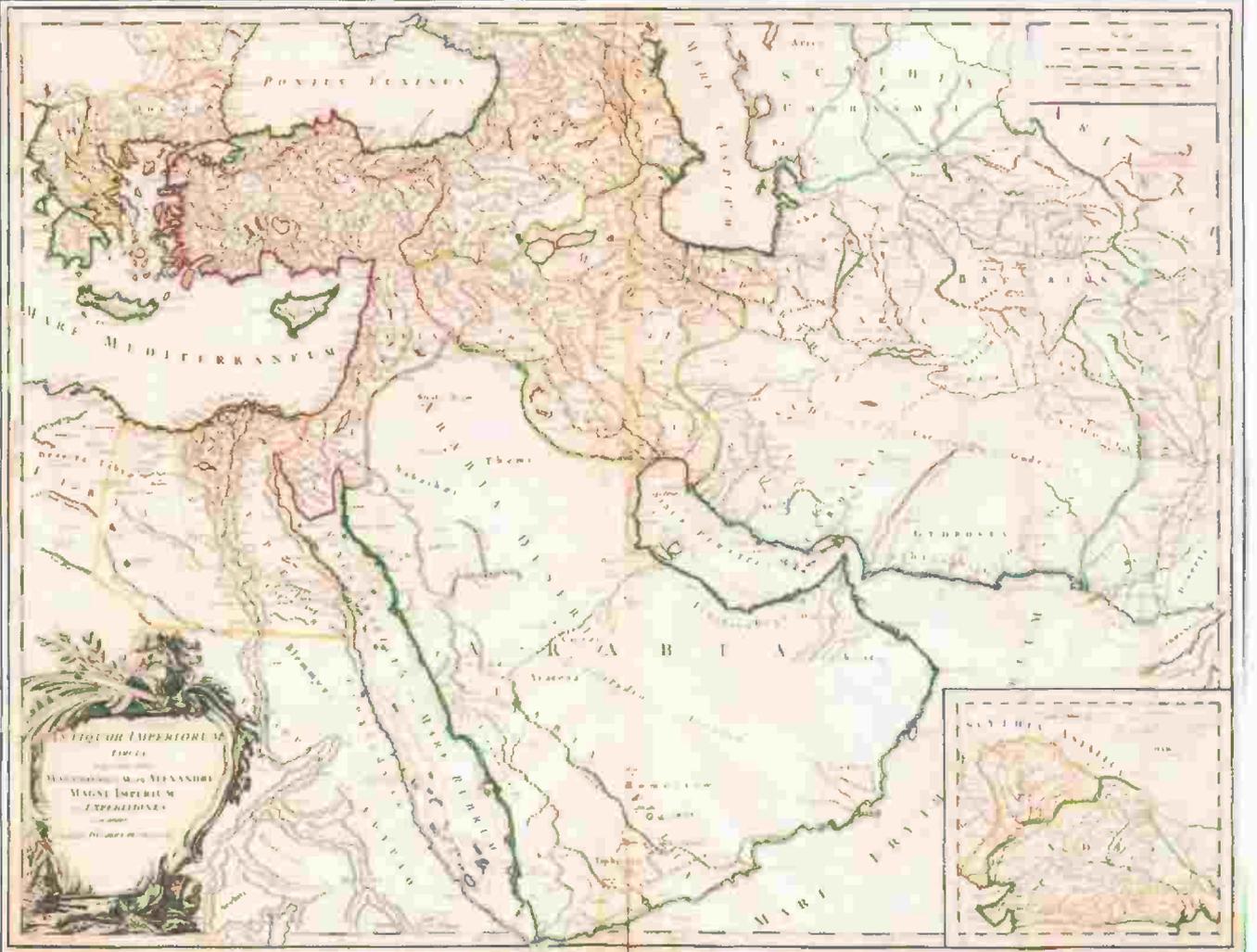
وأجهت الأمة العربية الإسلامية في أواخر القرت الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي (٤٩١ هـ / ١٠٩٦ م) أشرس غزواستعماري استهدف احتلال أراضيها وتدمير هويتها الحضارية . ذلك هو الغزو العسكري الفاشم والذي أطلق عليه مؤرخو الغرب اسم **الحروب الصليبية أو الحملات الصليبية** التي امتدت إلى ما يقارب قرن من الزمن كانت فيها صولات وجولات . حيث تمكنت أولى الحملات من أن تقيم لها في المشرق العربي عدة إمارات صليبية كالرُها وأنطاكية ومملكة بيت المقدس وطرابلس .

وقد تبه المسمون لمخاطر هذه الحملات الصليبية: فوحدو صفوفهم وأوضعوا كلتهم ولبوا شملهم . كما سيتضح لك من خلال هذا الاطلس في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى .
بدء من شرف الدولة مويدود التركي ومرور بصلاح الدين الكردي ونهاية بالظاهر بيبرس المملوكي ومن بعده .

منذ فجر التاريخ، والصراع قائم بين الحق والباطل، من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وحينما بزغ فجر الإسلام، وعم أرجاء الجزيرة العربية في عهد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه؛ بدأ أعداء الدين بالتخطيط للفيل منه ومحاربتة بشتى الوسائل والطرق؛ وبما أن الإسلام جاء لتوحيد الله تعالى، وإخراج الشعوب المقهورة والمستعمرة من قبضة مستعمرهم، كما هو الحال في هيمنة الإمبراطورية الرومانية على بلاد الشام ومصر والشمال الإفريقي، وكذلك الأمر بالنسبة للهيمنة المجوسية على العراق. لذلك خرجت طلائع الفتح الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - لتخليص هذه الشعوب المقهورة من هذه الحكومات الاستعمارية الجائرة، ولإرساء قواعد العدل الإلهي بين هذه الشعوب جميعاً.

لقد خرج قادة الجيوش الإسلامية يحملون رسالة المحبة والسلام قبل خوضهم أي معركة مع الطرف الآخر، فتجسوا في مهمتهم حتى امتد هذا الفتح الإسلامي المبارك في مشارق الأرض ومغاربها، وتقلصت بلاد النصرانية، حتى حصرت في بعض أوروبا تتربص بالمسلمين وتنتظر منهم غفلة وضعفاً، قال تعالى: « **لَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرُدَّ دِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ فَبِمَتَّ وَهُوَ كَافِرًا وَلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** * » وحينما تهيأت الظروف لإوروبا لإعادة تاريخها الاستعماري في العصور الوسطى لبست مسوح الدين وأخذت تتباكي على الأراضي المقدسة في أرض فلسطين. من جراء تصرفات بعض المحسويين على الإسلام للحجاج النصاري. فاتخذت ذلك ذريعة للقيام بحملاتها الصليبية بكل صلف واستكبار: لتقذف بلاد الشام وقدها الشريف بالجيوش العاتية، فاحتلت البلاد، وأسست إمارات .

وتحفل كتب التاريخ بذكر الانتصارات التي هيأت النجاح للصليبيين بهذا الاستعمار البغيض في البلاد الإسلامية كنتيجة لعوامل متعددة: أهمها: البعد عن الله تعالى وثانيها: انشغال ولاة الأمر بأنفسهم للحفاظ على مكاسبهم الشخصية، والكيد لبعضهم بعضاً، وثالثها: انصراف العلماء عن أداء واجبهم الدعوي من خلال الجهر بالحق والوقوف إلى جانبه - إلا من رحم الله - ورابعها: استغلال أعداء الدين وعلى رأسهم الشعوب والباطنيون لهذه التفرقة والعمل على توسعتها والحصول على مكاسب بسببها. وخامسها: انصراف الخاصة والعامة من المسلمين عن متابعة الجهد العلمي والتنسيق فيه إلى مراقبة هذا الصراع المتجدد والمتعدد بين زعماء الأمة الإسلامية وانغماس أكثرهم فيه. وسادسها: حصول الهجمات البربرية التي قوضت أركان المعارف والعلوم مرات عدة كما هو الحال بالاجتياح المغولي للخلافة العباسية.



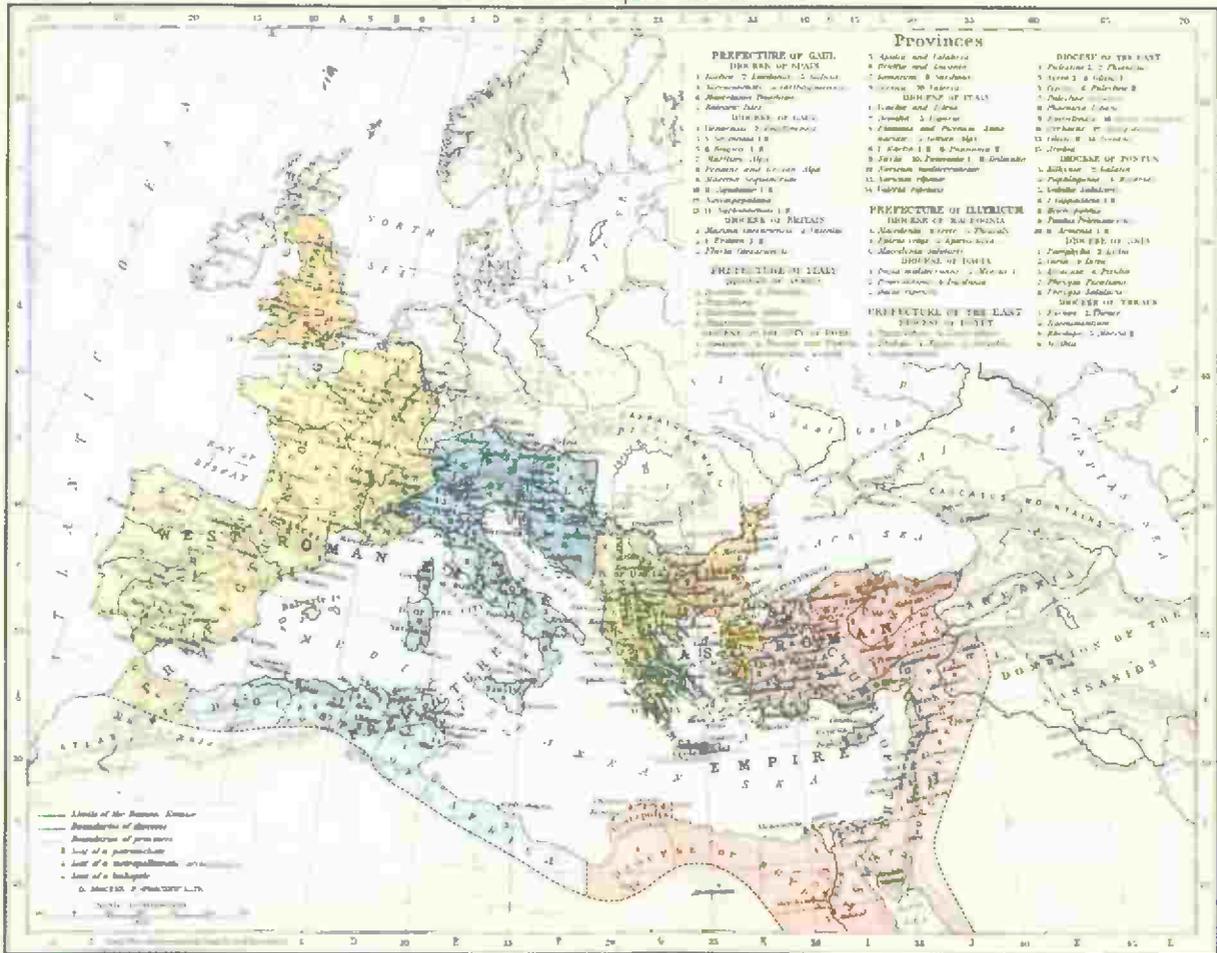
خريطة أوروبية لحملات الإسكندر المقدوني الاستعمارية على أجزاء من بلاد المشرق، تعود إلى سنة 1735م

أيهما بدأ بالاعتداء على الآخر: الغرب أم الشرق؟

كتسب بعض الكتاب انصاري عن الحروب الصليبية أو عن الإسلام معتبرين الفتوح الإسلامية غزواً دينياً لا يختلف عن الغزو الصليبي. قلت: وهذا ظم جائر، سيتم إيضاحه.

ومرّحوا الكتاب أشخاص بارزين مثل ولسون كاش Wilson Cash الذي كان سكرتيراً لـ C.M.S. وزويمر S.M. Zwemer أحد زعماء الإرسالية العربية التنصيرية ودنكان ب. ماكدونالد B. Macdonald Duncan وبالمقابل فإن بعض الكتاب العرب بنوا مواقفهم من النصرانية والعلاقة بين المسلمين والنصارى على رده فعلهم تجاه الحروب الصليبية.

إن أنورخ المنصف حينما يكتشف كيف خرج الإغريق من بلادهم اليونان زاحفين نحو الشرق، يجد الإجابة الشافية على سؤاله في تحول حضارة الإغريق الهلينية الاستعمارية إلى الحضارة الهلنستية كنتاج لامتزاجها بالحضارة الشرقية، وحينما ورثت الإمبراطورية الرومانية حضارة الإغريق، قامت هي الأخرى باحتلال سوريا سنة 64 م، وانتهت بضم مصر إليها، ثم غزت شمال إفريقيا بكامله بعد قضائها المبرم والنهائي على مدينة (قرطاجنة) التي صيرتها خراباً إلى يومنا هذا، وذلك بعد حرقها وتدميرها وزرع أرضها بالملح حتى لا تثبت مرة أخرى، وبلغت حدود الإمبراطورية الرومانية من المحيط الأطلسي غرباً إلى الصحراء السورية العربية شرقاً. إذن خضع الشرق الأدنى لاستعمار بغيض، جاء الإسلام فحرر شعوبه، وطمس وثنيته.



أطلس اكملات الصليبيت على امشرف الإسلامى

خريطة أوروبية من أطلس أوروبي قديم، للتوسع الاستعماري الإمبراطورية الرومانية على أجزاء من بلاد الشرق والشمال الأفريقي.

أخي القارئ الكريم: تقصدت ن أقدم لك خارطتين أوروبيتين، في الصفحة السابقة وفي هذه الصفحة: تصوران المد الاستعماري في الماضي. الأولى: لإمبراطورية الإسكندر المقدوني، والثانية: للإمبراطورية الرومانية، لكي تقف على الحقيقة الزائفة التي يدعيها بعض مؤرخين الغربيين بأن المسلمين هم أول من بدأ العداء ضدهم: وكما ذكرنا في الصفحة السابقة على أن الفتح الإسلامي جاء مخلصاً لشعوب بلاد الرافدين وسوريا ومصر والشمال الإفريقي من قبضة المستعمر الفصاحب المتعالي.

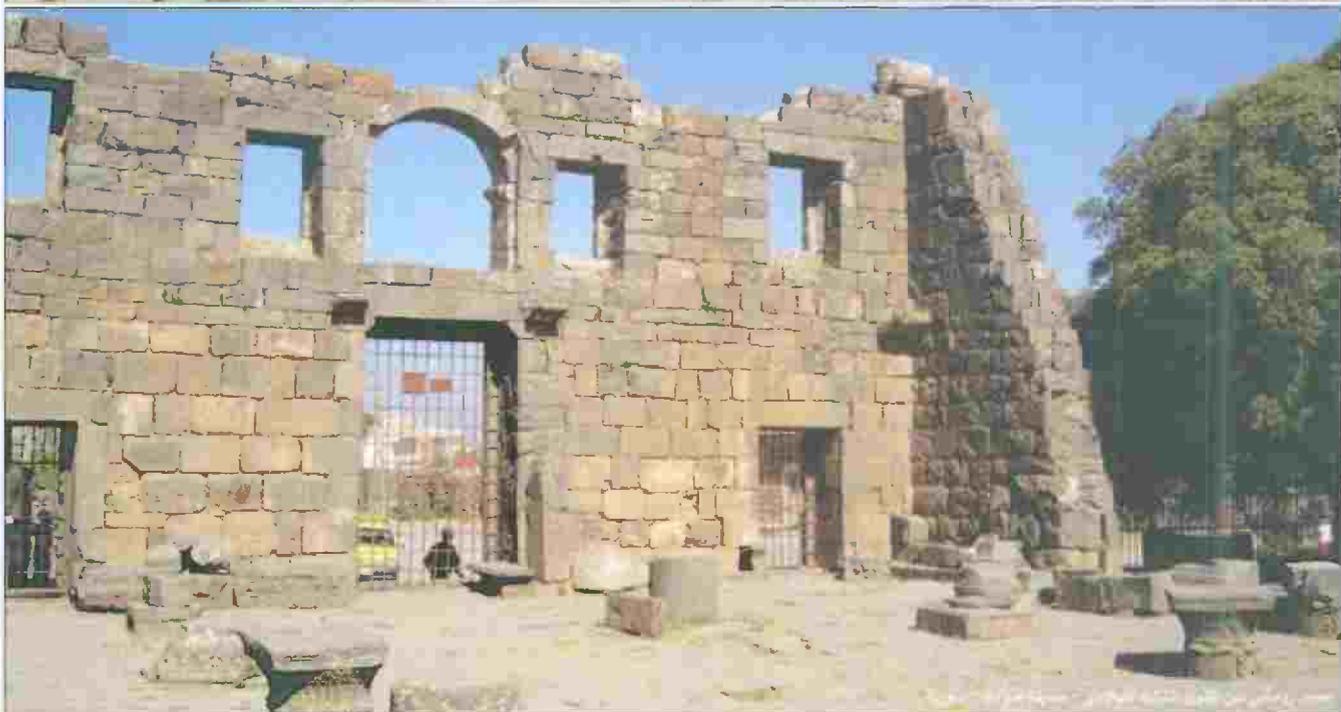




اطلس اكملات الصليبيت على المنطفرة الإسلامى



الكنيسة الصليبية في طنججة المغربية





معركة ملاذكرت (ملاذكرد) ٤٦٣ هـ ١٠٧١ م

الإمبراطورية البيزنطية

هي إمبراطورية تاريخية، عاصمتها القسطنطينية (جيزة). وكان يطلق عليها الإمبراطورية الرومانيّة الشرقية وكلمة بيزنطي وضعها مؤرخ ألماني (هيروديموس ولف) سنة ٥٥٧ م، ونشرها الفرنسيون في القرن ١٨م، للإشارة للإمبراطورية الرومانية الشرقية.

بينما كان رعايا الإمبراطورية يستخدمون كلمة روماني كان إمبراطورهم يدعى الإمبراطور الروماني عاشت الإمبراطورية البيزنطية ما يزيد عن ١١ قرناً تقريباً وظلت قائمة حتى عام ١٤٥٣ م.

كانت الإمبراطورية معبراً للقوافل التجارية بين الشرق والغرب وكانت الإمبراطورية البيزنطية تضم هضبة الأناضول بأسيا وأجزاء من اليونان وجزر بحر إيجه وأرمينية وآسيا الصغرى والشام والجزيرة العربية السورية ومصر وليبيا وتونس والجزائر.

كانت هذه الإمبراطورية تأخذ طابعاً إغريقياً في الثقافة والعلوم حيث حافظت على التراث الإغريقي والروماني. كما تأثرت بحضارات وفنون الشرق ومصر وبلاد الإغريق وما بين النهرين. لكن البيزنطيين تحدثوا لهم ثقافتهم وطرزهم المعمارية الخاصة بهم ولا سيما في بناء القصور والقصور والحمامات والمكتبات والمستشفيات والخانات والأسواق المغلاة بيوت الضيفة على طرق القوافل. واشتهروا بالآقونات الملونة. واشتهرت مخطوطاتهم بالترزين والخط البديع وتهميش الصحاح ووضع عناوين. كما اشتهروا بصناعة أبواب القصور والقلاع المصنعة ونمط الحرير الملون وصناعة الأختام من الرصاص والسيراميك (الفسيفساء) والرجاج الملون وسك الدنانير البيزنطية الذهبية والتي كانت متداولة في أيام الإمبراطورية.

قامت الدولة السلجوقية التركية في القرن الخامس للهجرة لتشمل خراسان وما وراء النهر وإيران والعراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى. وأسسها طغرل بك السلجوقي الذي استطاع أن يسقط الدولة البويهية الشيعية التي كانت مسيطرة على الخلافة العباسية ببغداد عام ٤٤٧ هـ، وأن يؤسس بدلاً منها دولته السنية، ثم توفي سنة ٤٥٥ هـ وتولى السلطنة من بعده ابن أخيه **ألب أرسلان** الذي كان قائداً ماهراً وشجاعاً كعمه، فتشر الأمن في سلطنته الواسعة، ثم التفت نحو توحيد العالم الإسلامي تحت راية الخلافة العباسية ونفذ السلاجقة.

وأغضبت فتوحاته هذه رومانوس (أرمانوس) إمبراطور الروم، فصمم على القيام بمعركة مضادة للدفاع عن إمبراطوريته، ودخلت قواته في مناوشات ومعارك كان أهمها ملاذكرت عام ٤٦٣ هـ. وتعد معركة "ملاذكرت" من أيام المسلمين الخالدة. مثلها مثل بدر، واليرموك، والقادسية، وحطين، وعين جالوت، والزلاقة، وغيرها من المعارك الكبرى التي غيرت وجه التاريخ، وأثرت في مسيرته، وكان انتصار المسلمين في ملاذكرت نقطة فاصلة؛ حيث قضت على سيطرة دولة الروم البيزنطية على أكثر مناطق آسيا الصغرى وأضعفت قوتها، ولم تعد كما كانت من قبل شوكة في حلق المسلمين، حتى سقطت في النهاية على يد السلطان العثماني المسلم محمد الفاتح.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة وفيها أقبل ملك الروم **أرمانوس** في جحافل أمثال الجبال من الروم والكرج والفرنج، وعدد عظيم وعدد، ومعه خمسة وثلاثون ألفاً من البطارقة. مع كل بطريق مائتا ألف فارس، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفاً، ومن الفزاة الذين يسكنون **القسطنطينية**، خمسة عشر ألفاً، ومعه مائة ألف نقاب وحفار، وألف روزجاري، ومعه أربعمائة عجلة تحمل النعال والمسامير، وألف عجلة تحمل السلاح والسروج والفرادات والمناجيق، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رجل، ومن عزمه قبحه الله أن يبديد الإسلام وأهله. وقد أقطع بطارقه البلاد حتى بغداد، واستوصى نائبها بالخليفة خيراً، فقال له: أرفق بذلك الشيخ فإنه صاحبنا، ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة، فاستعادوه من أيدي المسلمين، والقدر يقول: ﴿ **لمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ الحجر: ٧٢ فالتقاه السلطان **ألب أرسلان** في جيشه وهم قريب من عشرين ألفاً، بمكان يقال



الدافع الديني :

كانت هزيمة ملاذكرت هزيمة قاسية للإمبراطورية البيزنطية الأمر الذي دعا بالإمبراطور البيزنطي بالاتصال بالبابوية في روما على رغم الخلاف الحاد بينهما من أجل الوقوف صفاً واحداً أمام تنامي قوة السلاجقة الأتراك المسلمين: إضافة إلى ما أثاره (بطرس الناسك) الراهب الفرنسي الأصل، الذي جاء لزيارة "بيت المقدس"، وزعم أنه أسبغت معاملته مع غيره من



مرثمة أوروبي لمؤتمر كليرمونت، ويظهر فيه البابا أوربان الثاني وهو يخاطب في الحشود للدعوة للحرب سلسية

الزوار، وفور عودته إلى بلاده، مر **بروما** وقابل البابا (أوربان الثاني) ودعا إلى إنقاذ الأماكن المقدسة. ثم أخذ يجوب ألمانيا وفرنسا وبلجيكا محرّضاً الجماهير في خطبه على الزحف لإنقاذ **"قبر المسيح"**، **قال تعالى:**
﴿ فَمَا نَقِضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَرَّمَهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيُرْحَىٰ وَقَتَلُوهُ قُلُوبَنَا غُلْفٌ بَلْ طَبِعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بَكْرَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ * وَكَرَّمَهُمْ وَقَوْلُهُ عَلَىٰ مَرْثَمِهَا عَظِيمًا * وَقَوْلُهُ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِحَئْمِ الْآتِياعِ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْأَلْبُومِينَ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَبِيًّا فَكَانَ تِلْكَ الْخُطْبُ الْحَمَاسِيَّةُ، وتشجيع البابا لهذه الحركة: اثر كبير في قلوب الناس؛ لتهيج مشاعرهما، و ثارة عواطفها. وكانت أولى ثمار هذا التحرك انعقاد مؤتمر كليرمونت في تشرين الثاني ١٠٩٥م برئاسة البابا، وكان له تأثير كبير في الدعوة للحروب الصليبية ورعايتها، فعمل على المقاربة وإزالة الخلاف بين الكنيستين الشرقية (البيزنطية) والغربية (اللاتينية)، إذ رفع قرار الحرمان الذي كان موقعاً من الإمبراطور البيزنطي. كما أعطى هذا البابا توجيهاته للأمرء ورجال الدين **وكبار التجار الإيطاليين** المشاركين في "مجمع كليرمونت"، بأن يحيك كل محارب صليباً من القماش الأحمر على رداءه الخارجي من ناحية الكتف، رمزاً للمكرة التي خرج ليحارب من أجلها، وقد تم تحديد سنة ١٠٩٧م موعداً للحملة الصليبية الأولى. وقد أخرج البابا علامة الفداء المقدسة وهي (صليب الخلاص) عندهم وقال: (احملوه على عواتقكم، أو على صدوركم، وليشرف فوق أسلحتكم وفي رؤوس سناجقكم)، ولم يكتف البابا عند هذا الحد بل أخذ بالتنقل بين المدن والبلدان داعياً لهذه الحرب.



رأي سول قيام الحروب الصليبية

الدولة العبيدية وهدم كنيسة القيامة - بقلم الكاتب الصحفي الشرفي المظهر (تم نقل النص مرصفاً)

كثيراً ما يثير المسلمون قضية **الحروب الصليبية** كلما دار النقاش حول العنف في **القرآن** و **الإرهاب الإسلامي** قديماً وحديثاً، وهي محاولة يائسة منهم لإيهام القراء بأن المسيحية تحيز العنف والاعتداء بينما الحروب الصليبية تخالف روح الإنجيل مخالفة شديدة وتناقض تعاليم المسيح .. إلا أننا في هذا الموضوع لن نطيل في سرد أسباب رفضنا للحروب الصليبية إنما سنخوض في أسبابها تلك الأسباب التي يحاول أن **يخفيها المسلمون** في مواضيعهم ومشاركاتهم **لأسباب لا تخفى على اللبيب فما ذاك مرجعه إلى الجهل أو التدليس والكذب (وهذان لهما مرجعية شرعية)** ولمعرفتنا بالأسباب فائدة عظيمة إذ من خلال كشفنا السبب سنتمكن من صد وتحطيم هذه الأسطورة المشروخة التي طالما لعبوا بها ومتى عرف السبب بطل العجب !..

أسباب الحروب الصليبية ، إن السبب الرئيس لقيام الحملات الصليبية .. هم : المسلمون أنفسهم !!! فبسبب معاملتهم الظالمة للمسيحيين وانتهاكهم لمقدساتهم والاعتداء على إنسانيتهم قامت تلك الحروب .. وإن كان هناك دوافع أخرى سياسية ولكننا لن نتفرغ إليها في هذا المقالة . فالموضوع هنا: رد على المسلمين الذي يصورون أنفسهم للعالم **فأنهم حملان و إن المسيحيين هم الذئاب وهم الصليبيين** الذين اقترفوا الفواجع ضدهم رافعين الصليب دون سبب لا لتبدأ بسرد أهم سبب لنظام الحروب الصليبية وهو : **هدم المسلمين لكنيسة القيامة أقدس بقاع المسيحية** !!!

الدولة الفاطمية ، نامت الدولة الفاطمية في إفريقية سنة ٢٩٨هـ بزعامه عبيد الله المهدي مدعياً أنه صاحب الحق في الخلافة وأنه حفيد محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق وقد مهد لقيامها داعية إسماعيلي يدعى أبو عبد الله الشيعي وحشد لنصرتها قبيلة (كتامة) ، وعرفت بالدولة العبيدية . ولما رسعت قواعدها قضت على دولة الأغالية في القيروان ثم قضت على دولة الإخشيد في مصر . وبنيت فيها مدينة القاهرة ثم انتقلت إليها في عهد المعز لدين الله ودعيته بالدولة الفاطمية . وتم يستطع الخليفة العباسي المعتذر بالله أن يدفع قيامها وكل ما فعله أنه أصدر منشوراً بالطمع في نسب المهدي ، وقمه وجهاء النأشميين بما فيه البيت العلوي ، وسهما قيل في نسب الفاطميين فقد استطاعوا أن يحيوا مجدداً وأن يبنوا نهضة وأن يرفعوا مناراً . غير أن الأمل الذي فتتح بقيامها لم يلبث غير زمن قصير ، ثم حدثت بها أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية تراخت فيها قوتها وانتهت إلى الزوال . وقد بدأ هذا التراخي في عهد الحاكم بأمر الله نسوء تصرفه . ومنها إقدامه على هدم كنيسة القيامة في القدس وكان هدمها من أسباب قيام الحروب الصليبية . متقول من أحد النواقع المسيحية على الشبكة العنكبوتية ، وحاولت مجاهد أن انقل الصورة المتشجعة التي كتب بها هذا الكاتب المسيحي عن أسباب الحروب الصليبية .

الرد على الرأي السابق من خلال استقراء التاريخ المعاصر للحدث

من اتعارف عليه أن بداية الحروب الصليبية جاءت في فترة كانت فيها أوروبا قد تنحوت بالكامل تقريباً بعد اعتناق الفايكنج والسلاف والمجر للنصرانية . فكانت عبقة المحاربين الأوروبيين قد أصبحوا بلا عدو لقتاله ، فأصبحوا ينشرون الرعب بين السكان ، وتحولوا إلى السرقعة وقطع الطرق والقتال في ما بينهم ، فما كان من الكنيسة إلا أن جاءت للتخفيف بمع ذلك ضد جماعات معينة في فترات معينة من أجل السيطرة على حالة الفوضى القائمة . وفي ذات الوقت أضع المجال للأوروبيين للاهتمام بموضوع **الأرض المقدسة** التي سيطر عليها المسلمون منذ عدة قرون ولم يتمكن لأوروبيين الالتفات لها لانشغالهم بالحروب ضد غير النصارى من الفايكنج والجرين الذين كانوا يشكلون المشكلة الأقرب جغرافياً سابقاً . كذلك بدأت الكنيسة تلعب دوراً في الحرب الاستردادية في إسبانيا ، حيث **قم البابا الكسندر الثاني** عام ١٠٦٣م بمباركة المحاربين الناهبين إلى الأندلس الأمر الذي لعب دوراً كبيراً في تكوين فكرة الحرب المقدسة . إذن فكرة الحرب المقدسة ؛ ليست وليدة **لمضايقات بعض المسلمين** لزوار بيت المقدس كما يزعمون . - ون كنا لا نقرها نحن المسلمين - بل هي تؤكد على طبيعة التحقد الأوروبي البغيض على الإسلام والمسلمين . **فهل إعلان الحرب على المسلمين هي الأندلس نتيجة لمضايقتهم لزوار بيت المقدس أيضاً ؟**



أوربان الثاني

معظم الدونات التاريخية النصرانية المعاصرة للحروب الصليبية تتطرق بالعداء السافر ، وحسبنا أن مؤرخي هذه الحقبة نعتوا المسلمين بأنهم من

« الجنس الشرير ، وأعداء الله ، والبرابرة الوثنيين ، والقتلة وسفاكي الدماء ، وأتباع الشياطين ، والأمم النجسة » والعبارة الأخيرة ، وردت في خطبة **أوربان الثاني** في مؤتمر كليرمونت ، انظر نص الرسالة عند : أ . محمد ماهر حمادة ، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي ، دراسة ونصوص ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٦ ، ص . ١٠٠ .



الدافع السياسي :

كان الملوك والأمراء الذين أسهموا في الحركة الصليبية يسعون وراء أطماع سياسية لم يستطيعوا إخفاها سواء قبل وصولهم الشام وفلسطين أو بعد استقرارهم فيهما والمعروف أن النظام الإقطاعي ارتبط دائماً بالأرض وبقدر ما يكون الإقطاع كبيراً والأرض واسعة بقدر ما تكون مكانة الأمير سامية في المجتمع وفي ظل هذا النظام كانت المشكلة الكبرى التي يمكن أن تواجه الأمير والفارس هي عدم وجود إقطاع أو أرض له. مما يجعله عديم الأهمية مسلوب النفوذ وأدى هذا إلى بقاء عدد كبير من الفرسان والأمراء بدون أرض، لأن من القواعد الأساسية في هذا النظام أن الابن الأكبر وحده هو الذي يرث الإقطاع فإذا مات صاحب الإقطاع انتقل الإقطاع بأكمله إلى أكبر أبنائه، وهذا يعني لفناء بقية الأبناء دون أرض، وهو وضع مهمقوت في المجتمع الإقطاعي. **الأمر الذي جعل الفرسان والأمراء المحرومين من الأرض يتحايلون للتغلب على هذه العقبة** عن طريق الزواج من وريثة إقطاع، أو اللجوء إلى العدوان والحرب للحصول على إقطاع وكان إن ظهرت الحركة الصليبية لتفتح باباً جديداً أمام ذلك النفر من الأمراء والفرسان، فلبو نداء البابوية، وأسرعوا إلى الإسهام في تلك الحركة لعلهم ينجحون في تأسيس إمارات لأنفسهم في الشرق. تعوضهم ما فاتهم في الغرب. **أما الأمراء والفرسان** الذين كانوا يمتلكون إقطاعات فقد وجدوا في المشاركة في الحركة الصليبية فرصة طيبة لتحقيق مجد أكبر والحصول على جاه أعظم .

قال الصلابي: وبادارستنا لمراجع الحروب الصليبية نرى أن أطماع أمراء الحملة الأولى تحلت في عدة مظاهر سياسية، فقد أخذوا يقسمون الغنيمة وهم في الطريق أي قبل أن يستولوا على لغنيمة فعلاً، وسوف نرى بإذن الله تعالى كيف استحکم النزاع فيما بينهم أمام أنطاكية لرغبة كل واحد منهم في الفوز بها وكيف من استطاع منهم أن يحقق لنفسه كسباً في الطريق قنع به وتغلى عن مشاركة بقية الصليبيين في الزحف على بيت المقدس، وهو الهدف الأساسي للحملة وكثيراً ما دب الخلاف بينهم - بعد استقرارهم - حول إمارة أو الفوز بمدينة، وعبثاً حاولت البابوية أن تتدخل لفض المنازعات بين الأمراء وتحذرهم بأن أسلمين يحيطون بهم، وأن الواجب الصليبي يستدعي تضامنهم لدفع الخطر عن أنفسهم ولكن تلك الصيحات ذهبت أدراج الرياح، لأن هدف الأمراء كان ذاتياً سياسياً، ولم يكن يهمهم كثيراً أرضاء البابا أو سخطه، بل إن بعض الأمراء لم يعجموا عن مخالطة القوى الإسلامية المجاورة ضد إخوانهم الصليبيين مما يدل على أن النزاع الديني كثيراً ما ضعف عند أولئك الأمراء أمام مصالحهم السياسية، أما بالنسبة للإمبراطور البيزنطي (الكسيوس) فإنه لم يعترض على أهداف أمراء الحملة، لأنه إذا تسنى للدولة البيزنطية استرداد ما كان لها من أملاك قبل غارات الأتراك عليها، جاز أن تقوم في تخومها إمارات مسيحية حاجزة. لها حق السيادة عليها، ولضمان الحصول على ذلك حرص الإمبراطور على الحصول على يمين الولاء من أمراء الغرب، وبذلك توافقت مصالح كلا الجانبين المسيحيين في القيام بالحرب والعدوان على الأرض الإسلامية والواقع أنه من العسير الفصل بين العوامل المادية والعوامل المعنوية التي دفعت المسيحيين إلى الحروب الصليبية، فالفقر



والرغبة في الكسب، وروح المفكرة كانت عوامل هيات الجو المناسب للحروب، غير أن هذه العوامل لم تظهر إلا بما نجم عن فكرة للحرب " المقدسة " وتطير الأرض، من حماس ديني، والواضح أن فكرة الحرب نبعت من السياسة البابوية، وسياسة الدولة البيزنطية والحروب الأسبانية الإسلامية، فمما سهل أمر إعلان الحرب

على المشرق الإسلامي، ما درج عليه الأسبان والفرنسيون في قتال المسلمين في بلاد الأندلس، حيث أتخذ هذا القتال صفة الحرب المقدسة، سواء من جهة المسلمين، حيث أثار " المرابطون " في المغرب الإسلامي الجهاد الديني، أو من جهة المسيحيين في الحالة النفسية التي اقترنت بتوجيه الحرب الصليبية إلى الشرق، حتى أن المؤرخ الكبير (ابن الأثير) نظر إلى الخطر الخارجي نظرة شمولية، واعتبر أي عدوان على طرف من أطراف العالم الإسلامي - سواء في الشرق والغرب - رافد يصب في النهر الأكبر، وهو الغزو الأجنبي المنظم على أكبر قوة حضارية في العصور الوسطى، وهو الدولة الإسلامية . الأندلس، صقلية، الشام - فلسطين " والتي تكمن في الفرقة، والأطماع الذاتية، وفقدان الروح الوثابة التي تميز بها الحكام والمسلمون الأوائل بناء الدولة الإسلامية هذا وقد كان واضح للعيان أن الكنيسة الغربية كانت محمومة لتوسيع رقعتها الإقطاعية، والسيطرة على الكنائس الشرقية، إضافة إلى رغبتها في حرب المسلمين، ومن حقائق التعصب الديني، وجو الجماعات الدينية التي كانت ترتبط بالكنيسة مباشرة وكانت ذات أثر فعال في تلك الحروب، منها فرسان الاستارية الذين كانوا ملتزمين بالدفاع عن ممتلكات الصليبيين في المشرق، وحماية الأماكن المقدسة وكانوا يرتبطون بالبابا مباشرة، وكانت كنائس بيت المقدس قد خصصت عشر دخلها لمساعدتهم في أداء رسالتهم الدينية المزعومة، وهناك هيئة الفرسان الداوية التي أتخذت مقرها في جزء من هيكل سليمان على إيلام في المسجد الأقصى، وسميت باسم : فرسان المعبد، ثم حُرقت إلى اسم الداوية هذا وقد كانت للبابوية ورجال الكنيسة القدرة على التأثير والضغط والتهديد بالنسبة لمن لا يتفد رغبة الكنيسة بإصدار قرارات الحرمان التي تقضي بالحرمان من النعيم في الآخرة ونبذ طاعته في الدنيا على حد زعمهم. دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغفل الباطني والغزو الصليبي، النسخة الرقمية .



الدافع الاجتماعي :

يتألف المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى من **ثلاث طبقات** :

- طبقة رجال الدين (من الكنيسة والديرين) .
- طبقة المحاربين (من النبلاء والفرسان) .
- طبقة الفلاحين (من الأقتان ورقيق الأرض) .

لذلك ساد المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، تمايز طبقي كبير، فقد سادت فيه طبقة رجال الدين وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان، وكانت طبقة الفلاحين تمثل الطبقة الأكبر المغلوبة على أمرها، والتي كان أفرادها يكدحون، ليسدوا حاجة الطبقتين الأوليتين.

وكانت الطبقتان الأوليتان تشكلان أقلية تمثل في مجموعها الهيئة الحاكمة من وجهة النظر السياسية والارستقراطية السائدة، في حين ظلت طبقة الفلاحين تمثل الغالبية المغلوبة على أمرها والتي كان على أفرادها أن يعملوا ويشقوا ليسدوا حاجة الضقتين الأوليتين. وكان معظم أولئك الفلاحين من العبيد والأقتان الذين ارتبطوا ارتباطاً وراثياً بالأرض التي يعملون عليها وقضوا حياتهم محرومين من أبسط مبادئ الحرية الشخصية. فكل ما يجمعه لئن يعتبر ملكاً خاصاً **للسيد الإقطاعي** لأن القن محروم حتى من الملكية الشخصية.

بيد أن أولئك الفلاحين عاشوا مثقلين بمجموعة ضخمة من الالتزامات والخدمات فكان عليهم أن يقدموا خدمات معينة للسيد الإقطاعي مثل فلاحة أرضه الخاصة فضلاً عن تسخيرهم في أعمال شاقة مثل إنشاء طريق أو حفر خندق أو إصلاح جسر.

كذلك كان على الفلاحين دفع مقررات معينة مثل ضريبة الرأس التي يتعين على كل قن دفعها سنوياً رمزاً لعبوديته. هذا عدا عن الضرائب الأخرى، وهكذا ظلت الغالبية العظمى من الناس في غرب

أوروبا يحيون حياة شاقة مليئة بالذل والهوان. وكان ذلك في الوقت الذي علت فيه الدعوة **للحروب الصليبية** فوجدت تلك الألوف من البؤساء في الغرب الأوروبي فرصتها قد حانت للتخلص مما كانت تعيش فيه من الذل ونكد الدنيا. فالموت كان أحب إليهم من حياة الجوع والذل والعبودية .



التدرج الهرمي للنظام الإقطاعي في أوروبا في العصور الوسطى



السيد والفارس والقرن

أباحث الكنيسة استرقاق المسلمين - الأوروبيين الذين لم يعتنقوا لدين النصراني، وكان آلاف من الأسرى الصقالية أو المسلمين يوزعون عبيداً على الأديرة، وكان القانون الكنسي يقدر ثروة أراضي الكنيسة في بعض الأحيان بعدد من فيها من العبيد لا يقدر ما تساوي من المال، فقد كان العبد يعد سلعة من السلع كما يعده القانون الزماني سواء بسواء، وحرّم على عبيد الكنائس أن يوصوا لتحّد بأملآكهم، وحرّم البابا ريجوري الأول على العبيد أن يكونوا قساوسة، أو أن يتزوجوا من النصرانيات الحرائر.



استدلال الطبقة الكادحة في النظام الاقطاعي



الدافع الاقتصادي :

يعتبر التطلع إلى خيرات المشرق الإسلامي، من أقوى دوافع الحروب الصليبية بعد الدوافع الدينية وقد عبر البابا (أوربان) نفسه في خطابه عن أهمية العامل الاقتصادي بالنسبة لواقع أوروبا وذلك فقال: لا تدعوا شيئاً يقعد بكم .. ذلك أن الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تحيط بها البحار وقلل الجبال ضيقة على سكانها الكثيرين، وتكاد تعجز عن كفايتهم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضاً، ويلتهم بعضكم بعضاً .. إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها بل هي فردوس المباحج وإن جميع الوثائق تشير إلى سوء الأحوال الاقتصادية في غربي أوروبا في أواخر القرن الحادي عشر، وكانت فرنسا بالذات تعاني من مجاعة شاملة قبيل الحملة الصليبية الأولى، ولذلك كانت نسبة المشاركين منها تفوق نسبة الآخرين، فقد كتبت الأزمة طاحنة حيث جاءت الناس إلى أكل الحشائش والأعشاب، وبذلك جاءت هذه الحرب لتفتح أمام أولئك الجائعين باباً جديداً للخلاص من أوضاعهم الصعبة وهذا ما يفسر أعمال السلب والنهب للحملة الأولى ضد الشعوب النصرانية التي مروا في أراضيها، كذلك اشتراك عدد كبير من تجار المدن الإيطالية والفرنسية والإسبانية في الحروب الصليبية بغرض استغلالها بحث من أجل السيطرة على الطرق التجارية للسلع الشرقية التي أصبحت مصدر ثراء للمشتغلين بها، لذلك قامت أساطيلهم بدور فاعل في الاستيلاء على المراكز الرئيسية في الشام، فساعد الجنوبية الفرنج في الاستيلاء على أنطاكية سنة ٤٩٠هـ - ١٠٩٧م، وأسهم البنادقة بعد ذلك بعامين في استيلاء اللاتين

وكان هدف هذه الجاليات الأول الربح والكسب المادي ولم يكن الباعث الديني إلا بالقدر الذي يحقق مصالحها، ويكفي أن نعرف أن شعار البنادقة الذين عرفوا به وقتذاك كان: لنكن أولاً بنادقة ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين، ولذلك قامت جمهوريات إيطاليا (جنوا - بيزا - البندقية) بعقد معاهدات مع الصليبيين بالمشرق حصلت على امتيازات اقتصادية كبيرة، حققت تريد، وسط ظروف عامرة كادت تعصف بتجارها .

وكان هدف هذه الجاليات الأول الربح والكسب المادي ولم يكن الباعث الديني إلا بالقدر الذي يحقق مصالحها، ويكفي أن نعرف أن شعار البنادقة الذين عرفوا به وقتذاك كان: لنكن أولاً بنادقة ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين، ولذلك قامت جمهوريات إيطاليا (جنوا - بيزا - البندقية) بعقد معاهدات مع الصليبيين بالمشرق حصلت على امتيازات اقتصادية كبيرة، حققت تريد، وسط ظروف عامرة كادت تعصف بتجارها .

وكان هدف هذه الجاليات الأول الربح والكسب المادي ولم يكن الباعث الديني إلا بالقدر الذي يحقق مصالحها، ويكفي أن نعرف أن شعار البنادقة الذين عرفوا به وقتذاك كان: لنكن أولاً بنادقة ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين، ولذلك قامت جمهوريات إيطاليا (جنوا - بيزا - البندقية) بعقد معاهدات مع الصليبيين بالمشرق حصلت على امتيازات اقتصادية كبيرة، حققت تريد، وسط ظروف عامرة كادت تعصف بتجارها .



برج بيزا المائل

مدينة بيزا الإيطالية والتي شكلت مع جنوا والبندقية موانئ رئيسة لنقل الصليبيين والتجارة مع المشرق

كانت سفن البنادقة و جنويين والبيازة تنقل المتاجر من مصر والشام إلى أوروبا في العصور الوسطى، وكانت سفن البنادقة بصفة خاصة تعمل الجزء الأثير من تجارة الشرق إلى ميناء البندقية، حيث تعرض في سوق رياتو (Rialto) هناك، لتباع في المزاد العلني للتجار الألمان والإنجليز وغيرهم. وكان سوق رياتو الكبير في البندقية من أشهر الأسواق التجارية في حوض البحر المتوسط، حيث كانت المتاجر الشرقية توضع في عربات وتزحف بها من هذا السوق متجهة إلى أنحاء أوروبا عن طريق سهل لومبارديا وممرات جبال ألب، وطريق الراين، لتصل أخيراً إلى تجار التصئة في شتى البلاد الأوروبية ليتلقونها المستهلكين هناك.

أهم مصادر ومراجع الباب الأول

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - أ. محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب.
- ٣ - أ. سعيد أحمد برجايوي، (رئيس فخري لدى محكمة التمييز في لبنان) الحروب الصليبية في المشرق .
- ٤ - د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، دار عكاظ للطباعة والنشر .
- ٥ - د . علي بن محمد الصلابي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغفل الباطني والغزو الصليبي، نسخة رقمية .
- ٦ - ابن كثير الدمشقي، تاريخ البداية والنهاية . طبعات مختلفة .
- ٧ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .
- ٨ - مجلة البيان الإسلامية ، أعداد مختلفة.
- ٩ - أمين معلوف، " الحروب الصليبية كما رآها العرب " ، نقلها إلى العربية د. عفيف دمشقية، دار الفارابي دمشق، ١٩٨٩ .
- ١٠ - الشيخ / محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية .
- ١١ - سيد علي الحريري، " الحروب الصليبية . أسبابها، حملاتها، نتائجها "، تحقيق وتقديم عصام محمد شبارو، دار التضامن دمشق ط١. ١٩٨٨ .
- ١٢ - أمينة بيطار، " تاريخ العصر الأيوبي "، دمشق، ١٩٨٢ .
- ١٣ - عبد المنعم ماجد، " الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي " .
- ١٤ - ياقوت الحموي، معجم البلدان .
- ١٥ - معين أحمد محمود، " تاريخ مدينة القدس " .
- ١٦ - مواقع إلكترونية عن النصارى .
- ١٧ - موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية .
- ١٨ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .
- ١٩ - محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، دراسة ونصوص، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦ م .

